الجدل والحوار
في
القرآن الكريم

إعداد
د. عطية طه عطية الزلمة
كلية الدراسات الإسلامية
للبنات - بالزقازيق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لَه الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير واحد أحد، فرد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير.

أرسله ربه بالكتاب الخالد المعجز، الذي لا يتطرق إليه الشك على مر العصور إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (١)، وقال تعالى: ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (٣)، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٤)، **وبعد،،،،،،**

فهذا بحث بعنوان الجدل والحوار في القرآن الكريم فيه جهد متواضع وعمل محدود، أقدمه على استحياء، وإذا كان لمثلي أن يضيف إلى آراء السابقين الذين لهم السبق في هذا المقام – فإنما أضيف أشياء بقدر المستطاع بأسلوب يتسم بسلامة اللفظ ووضوح العبارة وحسن العرض.

---

(١) سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) سورة هود الآية ١.

(٣) سورة ص الآية ٢٩.

(٤) سورة النحل ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن كنت قد وفقت في هذا فهو بفضل الله وتوفيقه وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

محتويات البحث:

يشتمل هذا البحث على عدة نقاط تتضمن كل واحدة منها جزءاً من أجزاءه التي تتعلق به

- **النقطة الأولى:** ضمنتها الحديث عن معنى الجدل والحوار كما وردت في معاجم اللغة.
- **النقطة الثانية:** ضمنتها الحديث عن الفرق بين الجدل والحوار مشفوعاً بذكر الأدلة القرآنية والأمثلة التي توضح ذلك.
- **النقطة الثالثة:** تتضمن الحديث عن أنواع الجدل وأقسامه معضدة بمثُل قرآنية.
- **النقطة الرابعة:** تتضمن الحديث عن طريق القرآن الكريم في الجدل المناظرة – وهي خصيصة من خصائص القرآن الكريم – وهذه الطريقة تشتمل على عدة أوجه.
- **النقطة الخامسة:** تشتمل على وسيلة من وسائل الإقناع في علم الجدل وهي: الاستدلال على المعاد الجسماني بأمور.
- **النقطة السادسة:** خصصتها للحديث عن طريقة أخرى من طرق الإقناع في علم الجدل؛ وهي: القول بالموجب وهو قسمان كل واحد منهما معضد بذكر الأمثلة.
- **النقطة السابعة:** تتضمن الحديث عما يسمى بالسبر والتقسيم، وذكرت تعريفهما في اللغة واصطلاح العلماء متضمنة أمثلة قرآنية ترد على المشركين فيما كانوا يفعلونه اتجاه الأنعام المخلوقة للانتفاع بها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- **النقطة الثامنة:** تشتمل على طريقة أخرى من طرق الإقناع في علم الجدل وهي التسليم بفرض المحال.
- **النقطة التاسعة:** خصصتها للحديث عن طريقة أخرى من طرق الإقناع وهي الانتقال من دليل إلى دليل وذكرت لهذه الطريقة مناظرتين أولاهما: دارت رحاها بين الخليل إبراهيم عليه السلام وبين النمروذ بن كنعان، وثانيتهما: دارت بين الكليم موسى عليه السلام وفرعون الذي ادعى الربوبية من دون الله عز وجل.
- **النقطة العاشرة:** خصصتها للحديث عن وسيلة أخرى من وسائل الإقناع في علم الجدل وهي: مجاراة الخصم وذكرت لها أربع صور كل واحدة منها معضدة بأدلة لوضع يد الخصم على الحقيقة.
- **النقطة الحادية عشرة:** تشتمل على وسيلة من وسائل الإقناع تسمى استخدام دليل التمانع معضدة بذكر الأدلة التي تقنع المعاند المشرك بأن التعدد في الآلهة مستحيل.
- **النقطة الثانية عشرة:** عنونتها بما يسمى بالمناقضة معضدة بالدليل القرآني الدال على استحالة وقوعه مما يترتب عليه استحالة دخول الكافرين الجنة.
- **النقطة الأخيرة:** تتضمن الحديث عن وسيلة تسمى الإسجال تتضمن دعاء المؤمنين ومناجاتهم ربَّهم أن يحقق لهم وعده الذي وعده إياهم على ألسنة الرسل الكرام.
- ثم ختمت البحث بجملة من الآيات القرآنية التي تشيد بالعقل الذي ميز الله به الإنسان وفضله على كثير من خلقه إذ أن الجدل والحوار خطاب العقل وبأهم نتائجه، والله ولي التوفيق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجدل والحوار في القرآن الكريم

إن الإنسان يلمس الحقائق الظاهرة الجلية التي تنطق بها شواهد الكون؛ فلا تحتاج إلى دليل على صحتها أو برهان على ثبوتها، أما المكابرة فتحمل أصحابها على إثارة الشكوك وتمويه الحقائق، فهي في حاجة إلى إفحامها بالحجة.

والقرآن الكريم وقف أمام نَزْعاتِ الناس المختلفة التي جادلت بالباطل لتنكر الحقائق فألجم الخصوم بالحس والعيان وعارضهم في أسلوب مقنع واستدلالٍ ملزِم، وجَدَلٍ مُحكم.

معنى المحاورة كما وردت في معاجم اللغة:

المحاورة والحِوار مصدر [حاور] تقول حاور الرجل صاحبه إذا راجعه الكلام، فتحاورا أي تراجعا، فرجع كلٌ إلى الآخر القول.

يقول صاحب لسان العرب: المحاورة: المجاوبةُ، والتَّحَاوُرُ والتَّجَاوُبُ، تقول: كلمتُه فما أحار إليَّ جواباً، وما رجع إليَّ حَوِيرًا ولا حَويرةً، ولا مَحُورَةً، ولا حِواراً، أي ما رد جواباً، ويقال: هم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة (١).

والجدل: اللددُ في الخصومة والقدرةُ عليها، يقال جادله مُجَادلةً وجِدالاً، ورجُلٌ جَدِلٌ ومِجْدَلٌ ومِجدَالٌ: شديدُ الجَدَلِ ويقال: جادلت الرجل فجدلتُه جَدَلا أي غلبته، ورجلٌ جَدِلٌ إذا كان أقوى في الخِصام، وجادله أي خاصمه، والجَدل مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلةُ المناظرة والمخاصمة.

وأصل الجَدلِ: مِن جَدَلْتُ الحبلَ أي أحكمتُ فتلَه وجَدَلْتُ البناء

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة: (حور)، والمفردات للراغب كتاب الحاء صفحة ١٣٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أحكمته [١] ؛ فكأن المتجادلين يفتل كلُ واحدٍ الأخر عن رأيه.

نستخلص من هذا أن الجدل عبارةٌ عن احتجاج المتكلم على ما يريد أن يثبته بحجةٍ تُقحمُ المعاند.

وقد ذكر الله الجدل على أنه من طبيعة الإنسان في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴾ [٣] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [٤]، وغيرها من الآيات.

وقد أمر الله عز وجل – رسوله صلى الله عليه وسلم – أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة، لتلين قلوبُهم إلى الحق قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [٥]، وأباح مناظرة أهل الكتاب بتلك الطريقة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [٦]، وهذا من قبيل المناظرة التي تهدف إلى إظهار الحق وإلى إقامة البرهان على صحته، وهي الطريقة التي يشتمل عليها جدل القرآن الكريم في هداية الكافرين وإلزام المعاندين بخلاف مجادلة أهل الأهواء فإنها مُنَازَعَةٌ باطلة قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا ﴾ [٧].

---

(١) لسان العرب مادة (جدل)، المفردات كتاب الجيم صفحة ٨٩.

(٢) سورة الكهف من الآية ٥٤.

(٣) سورة غافر من الآية ٣٥.

(٤) سورة الزخرف من الآية ٥٨.

(٥) سورة النحل من الآية ١٢٥.

(٦) سورة العنكبوت من الآية ٤٦.

(٧) سورة الكهف ٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفرق بين الحوار والجدل

المحاورة قد تكون عن خصومة وقد لا تكون، وقد تكون في مقابلة أدلة بأخرى وقد لا تكون، خلافاً للجدل فإنه تصحبه الخصومة بين المتجادلين كما عرفنا سابقاً.

فمن أمثلة المحاورة في غير الخصومة تلك المراجعة التي وقعت بين الله - عز وجل - والملائكة بغية الاستعلام والاستفادة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٢)، ومن ذلك أيضاً المحاورة والمراجعة التي وقعت بين جبريل ومريم عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ (٣).

ومن أمثلة المحاورة والمراجعة الخالية من الخصومة أيضاً تلك المراجعة التي وقعت بين إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - في أمر الذبح في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا

---

(١) سورة البقرة ٣٠.

(٢) سورة سبأ الآيات ٤٠، ٤١.

(٣) سورة مريم الآيات ١٦ - ٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (١).

والمراجعة الواقعة بين موسى عليه السلام والمرأتين في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢)، وكذلك المحاورة التي وقعت بينه وبين أبيهما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ○ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ (٣).

أما المحاورة التي تكون عن خصومة ما جاء في قصة الرجلين الذين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب قال تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ○ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ○ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ○ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤).

---

(١) سورة الصافات ١٠٢.

(٢) سورة القصص ٢٣.

(٣) سورة القصص ٢٧، ٢٨.

(٤) سورة الكهف ٣٤ – ٣٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أنواع الجدل في القرآن الكريم

يقول صاحب مفاتيح الغيب: [الجدال نوعان، جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل].

أما الجدال في تقرير الحق فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام قال تعالى - لمحمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١)، وقال حكاية عن الكفار أنهم قالوا لنوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾(٢).

وأما الجدال في تقرير الباطل فهو مذموم وهو المراد بهذه الآية حيث قال: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾(٣)، وقال ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾(٤)، وقال: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٥).

واعلم أن لفظ الجدال في الشيء مشعر بالجدال الباطل، ولفظ الجدال عن الشيء مشعر بالجدال لأجل تقريره والذب عنه (٦)، وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٧)، يقول رحمه الله [اعلم أنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة هود ٣٢.

(٣) سورة غافر من الآية ٤.

(٤) سورة الزخرف من الآية ٥٨.

(٥) سورة غافر من الآية ٥.

(٦) مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٢٧ ص ٢٩ بتصرف.

(٧) سورة النحل ١٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يدعو الناس بهذه الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالطريق الأحسن، وقد ذكر الله تعالى هذا الجدل في آية أخرى فقال: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١).

ثم هذا الجدل على قسمين:

القسم الأول: أن يكون دليلاً مركباً من مقدمات مسلمة في المشهور عند الجمهور، أو من مقدمات مسلمة عند ذلك القائل، وهذا الجدل هو الجدل الواقع على الوجه الأحسن.

والقسم الثاني: أن يكون ذلك الدليل مركباً من مقدمات باطلة فاسدة إلا أن قائلها يحاول ترويجها على المستمعين بالسفاهة والشغب، والحيل الباطلة، والطرق الفاسدة ؛ وهذا القسم لا يليق بأهل الفضل أما اللائق بهم هو القسم الأول ؛ وذلك هو المراد بقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٢) (٣)] اهـ.

ويقول ابن قدامة: [أما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذهب والديانات وفي الحقوق والخصومات وهو ينقسم قسمين أحدهما محمود، والآخر مذموم.

فأما المحمود: فهو الذي يقصد به الحق ويستعمل به الصدق، وأما المذموم فهو ما أريد منه المماراة والغلبة، وطُلب به الرياء والسمعة، وقد جاء في القرآن مدح ما ذكرنا أنه محمود وذم ما ذكرنا أنه مذموم.

فقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٤)

---

(١) سورة العنكبوت من الآية ٤٦.

(٢) سورة النحل ١٢٥.

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٠ ص ١٣٨ - ١٣٩ بتصرف.

(٤) سورة العنكبوت ٤٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١) و قال في إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾ (٢)، و قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾، وبذلك تعبد أنبياءه وصالحي عباده فقال عز وجل: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) (٤).

ويقول الإمام النووي رحمه الله: [اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٦)، وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ (٧)، فإن كان الجدال للوقف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة لحق أو كان جدلاً يغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه] (٨).

قلت: بنظرة فاحصة في آي الذكر الحكيم يتضح لنا بجلاء تام أن الجدل على نوعين: حسن محمود، قبيح مذموم، فمن الجدل الحسن المحمود وهو المبني على الرحمة والشفقة على أهل الخير من العباد كما كان من إبراهيم عليه السلام حين جادل الملائكة في شأن لوط عليه السلام قال

---

(١) سورة النحل ١١١.

(٢) سورة الأنعام ٨٠.

(٣) سورة الأنعام ٨٣.

(٤) نقد النثر لأبي الفرج بن قدامة تحقيق عبد الحميد العبادي ١١٧.

(٥) سورة العنكبوت ٤٦.

(٦) سورة النحل ١٢٥.

(٧) سورة غافر ٤.

(٨) كتاب الكبائر للذهبي ١٧١ مكتبة الكليات الأزهرية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ۝ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾[1]، أما صورة الجدل فهي في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ۝ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ [2].

ومن الجدل المحمود أيضاً ما وقع من المرأة التي جادلت في شان زوجها الذي ظاهر منها وتقصد بذلك أن تنصف نفسها وأولادها حيث قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إن لي أولاداً إن ضممتهم إليَّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، فهي تجادل وتريد النصفة لنفسها ولولدها، قال تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [3].

ومن هذا النوع أيضاً ما كان غايته إعلاء كلمة الحق ودحض الباطل، وهو الذي أمر الله عز وجل به رسوله ﷺ وصالحي الخلق إذ يقول جل وعلا: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [4].

وهذا النوع المحمود وهو خطة كل مجادل للوصول إلى الحق قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[5].

---

(١) سورة هود ٧٤ – ٧٦.

(٢) سورة العنكبوت ٣١ – ٣٢.

(٣) سورة المجادلة ١.

(٤) سورة النحل ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت ٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أما إذا أصر المعاند والخصم على ما هو عليه من استكبار وجحود وعناد فما على المجادل المحق إلا أن يكف عن جداله؛ لأنه لا يفيد المستكبر المعاند، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ۝ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

أما الجدل القبيح المذموم فمنه جدال إبليس اللعين فهو أول من وضع قواعده وأسس بنيانه حين أُمر بالسجود لآدم عليه السلام فأبى وامتنع وعلل امتناعه بأنه خير ممن أُمر بالسجود له، والآيات الواردة في هذا المقام كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (٢).

ومن الجدل المذموم كل جدل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) سورة الحج ٦٧ – ٦٩.

(٢) سورة الأعراف ١١ – ١٧.

(٣) سورة سورة الحج ٣ – ٤.

(٤) سورة غافر ٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١).

الوجوه التي ورد عليها الجدل في القرآن الكريم

يقول الفيروز أبادي في بصائره: [وقد ورد الجدال في القرآن على وجوه مختلفة.

الأول: معارضة نوح وقومه ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢).

الثاني: مجادلة أهل العدوان: ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٣).

الثالث: جدال إبراهيم والملائكة في قوم لوط: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٤).

الرابع: جدال صناديد قريش في إثبات إله العالمين ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴾ (٥) وجدال الكفار في القرآن: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (٦)، وجدال

---

(١) سورة غافر ٥٦.

(٢) سورة هود من الآية ٣٢.

(٣) سورة الأعراف من الآية ٧١.

(٤) سورة هود ٧٤.

(٥) سورة الرعد من الآية ١٣.

(٦) سورة غافر من الآية ٥٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنكرين في إنكار الحجة والبرهان بالشبهة والبطلان: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ (١)، وجدال النبي صلى الله عليه وسلم في الخائنين من المنافقين: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (٢)، وجدال الصحابة في حقهم قال تعالى: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (٣).

وجدال النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب باللطف والإحسان قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(٤)، وجدال الصحابة إياهم: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٥)، وجدال بمعنى الخصومة بين الحجاج قال تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (٦)وجدال ابن الزِّبَعْرِي (٧)في حق عيسى وعُزير والأصنام قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٨)، وجدال موجود في جبلة الإنسان قال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (٩) (١٠).

---

(١) سورة غافر ٥.

(٢) سورة النساء ١٠٧.

(٣) سورة النساء من الآية ١٠٩.

(٤) سورة النحل من الآية ١٢٥.

(٥) سورة العنكبوت من الآية ٤٦.

(٦) سورة البقرة من الآية ١٩٧.

(٧) هو عبد الله بن الزبعرى القرشي السهمي، كان من أشد قريش على المسلمين ثم أسلم عام الفتح. انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ترجمة رقم ٤٦٧٠.

(٨) سورة الزخرف ٥٨، وذلك بعد نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾.

(٩) سورة الكهف ٥٤.

(١٠) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي بصيرة رقم ١٩ ج ٢ صفحة ٣٧٣، ٣٧٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طريقة القرآن الكريم في الجدال والمناظرة

إن القرآن الكريم قد تناول كثيراً من الأدلة والبراهين التي حاج بها خُصُومه في صورةٍ واضحة جلية يَفْهَمُها العامة والخاصة وأبطل كلَ شبهةٍ فاسدة ونقضها بالمعارضة والمنع في أسلوب واضح النتائج، وفي أسلوب سليم بليغ معجز التركيب لا يحتاج إلى إعمال عقلٍ أو إلي بحثٍ كثير.

ولم يسلك القرآن في الجدل طريقة المتكلمين الاصطلاحية في المقدمات والنتائج التي يعتمدون عليها من الاستدلال بالكلي على الجزئي في قياس الشمول، أو الاستدلال بأحد الجزئين على الأخر في قياس التمثيل، أو الاستدلال بالجزئي على الكلي في قياس الاستقراء، ولكن القرآن الكريم أورد البراهين والأدلة على عادة العرب وذلك لأمور:

الأول: لأن القرآن جاء بلسان العرب وخاطبهم بما يعرفون.

الثاني: لأن الاعتماد في الاستدلال على ما فُطرت عليه النفس من الإيمان بما تُشاهِد وتَلْمَس دون عمل فكري عميق أقوى أثراً وأبلغ حجة.

الثالث: ولأن ترك الجلي من الكلام والالتجاء إلى الدقيق الخفي نوع من الغموض والألغاز، لا يفهمه إلا الخاصة، وهو على طرقة المناطقة ليس سليماً من كل وجه، فأدلة التوحيد وما أخبر الله به من المعاد وما نصبه من البراهين لصدق رسلِه لا تفتقرُ إلى قياس شمولي أو تمثيلي، بل هي مُستلزِمةٌ لمدلولها عيناً والعلم بها مستلزمٌ للعلم بالمدلول، وانتقال الذهن منها إلى المدلول بيِّنٌ واضح كانتقالِ الذهن من رؤية شعاع الشمس إلى العلم بطلوعها، وهذا النوع من الاستدلال بدهي يستوي في إدراكه كل العقول ؛ فخاطب سبحانه وتعالى خلقه في أجلِّ صورة تشتمل على أدقِ

دقيق لتفهم منه العامة من جليلها ما يُقنعُهم ويُلزِمُهم الحجة وتفهمُ الخواص من أثنائها ما يربو على ما أدركه فهم الخطباء (١).

مثال ذلك: قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ (٢).

هذا النص الكريم يشتمل على خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات هي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾، لأنه قد ثبت بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظِّماً لها وذلك مقطوع بصحته ؛ لأنه خبر أخبرِ به من ثَبَتَ صدقُه عمن ثبتت قدرتُه منقولٌ إلينا بالتواتر، فهو حق ولا يُخبِرُ بالحقِ عما سيكون إلا الحق فالله هو الحق.

الثانية: وأخبر سبحانه وتعالىا أنه يحيي الموتى ؛ لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر وحصولُ فائدة هذا الخبر موقوفةٌ على إحياء

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٤ صفحة ٥٢ بتصرف – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة المشهد الحسيني.

(٢) سورة الحج الآيات ١ – ٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الموتى، ليُشاهِدوا تلك الأهوال التي يعملها الله من أجلِهم وقد ثَبَتَ أنه قادر على كل شيء ومن الأشياء إحياءُ الموتى فهو يُحي الموتى.

الثالثة: أخبر الله عز وجل أنه على كل شيء قدير ؛ لأنه أخبر أنه من يتبعْ الشياطين، ومن يجادلْ فيه بغير علم يُذقه عذاب السعير، ولا يقدر على ذلك إلا من هو على كل شيء قدير فهو على كل شيء قدير.

الرابعة: أخبر سبحانه وتعالى أن الساعة آتية لا ريب فيها، لأنه أخبر بالخبر الصادق أنه خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة وأقر في الأرحام ما شاء إلى أجل مسمى ثم أخرجه طفلاً إلى آخر هذه المراحل، وضرب لذلك مثلاً بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتُنبِتُ من كل زوجٍ بهيج.

الخامسة: أخبر سبحانه وتعالى أنه خلق الإنسان فأوجده بالخلق ثم أعمده بالموت، ثم يُعيده بالبعث، وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق، ثم أماتها بالمحْل [1] ثم أحياها بالنبات، وصَدَقَ الخبر في ذلك كلِه بدلالة الواقع المشاهَد على المتوقَّعِ الغائب، حتى انقلب الخبر عياناً فصدق خبره في الإتيان بالساعة ولا يأتي بالساعة إلا مَنْ يَبعثُ من في القبور، لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة، فهي آتية لا ريب فيها وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور [2].

ولما حكى الله عز وجل عن بعض الناس الجدال بغير علم في إثبات

---

(١) **المحل:** نقيض الخصب، قال صاحب اللسان: المحل: الشدة، والمحل: الجوع الشديد وإن لم يكن جدب، والمحل: نقيض الخصب، وجمعه محول ومحال، والمحل احتباس المطر، وأرض محل وقحط: لم يصبها المطر في حينه. لسان العرب مادة: [محل].

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٤ صفحة ٥٣ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحشر والنشر وذمهم عليه، أورد سبحانه وتعالى الدلالة على صحة ذلك من وجهين:

أحدهما: الاستدلال بخلقة الحيوان أولاً وهو موافق لما أجمله في قوله تعالى رداً على من أنكر ذلك حين قال: ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (١)، وقوله على لسان الجاحدين: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ (٢)، فكأنه سبحانه تعالى قال: [إن كنتم في ريب مما وعدناكم من البعث فتذكروا في خلقتكم الأولى لتعلموا أن القادر على خلقكم أولاً قادر على خلقكم ثانياً].

ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر من مراتب خلق الإنسان أموراً متعددة:

[المرتبة الأولى]: قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ وفيه وجهان: **أحدهما:** إنا خلقنا أصلكم وهو آدم عليه السلام من تراب، كما قال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ (٤).

والثاني: إن خلقة الإنسان من المني ودم الطمث وهما إنما يتولدان من الأغذية، الأغذية إما حيوان أو نبات، وغذاءُ الحيوان ينتهي قطعاً للتسلسل إلى النبات، والنبات إنما يتولد من الأرض والماء ؛ فصح قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾، والإنسان إذا نظر إلى نفسه الآن استبعد أن يكون من تراب ولم يعترف إلا بعد أن يقطع شوطاً من العلم يدرك بعد

---

(١) سورة يس ٧٨، ٧٩.

(٢) سورة الإسراء ٥١.

(٣) سورة آل عمران ٥٩.

(٤) سورة طه ٥٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التحليل أن جسمه يتكون من نفس عناصر التراب.

[**المرتبة الثانية**]: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ والنطفة اسم للماء القليل أياً كان، وهو ههنا ماء الرجل ؛ فكأنه سبحانه وتعالى يقول: أنا الذي قلبت ذلك التراب اليابس ماءً لطيفاً، مع أنه لا مناسبة بينهما البتة.

[**المرتبة الثالثة**]: قوله تعالى ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهي قطعة الدم الجامدة، ولا شك أن بين الماء وبين الدم الجامد مباينةٌ شديدة.

[**المرتبة الرابعة**]: قوله تعالى ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ ؛ فالمضغة هي اللحمة الصغيرة بقدر ما يُمضغ، والمخلقة المساواة الملساء السالمة من النقصان والعيب، ومعنى [مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ]: أن يكونَ المرادُ مَنْ تمَّت فيه أحوال الخلق ومن لم تتم، كأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين أحدهما: تامة الصورة والحواس، وثانيهما: الناقصة في هذه الأمور فبين سبحانه أنه بعد أن صيره مضغةً منها ما خلقه أنساناً تاماً بلا نقص ومنها ما ليس كذلك، وأما قوله تعالى: ﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ فيه وجهان: أحدهما: لنبين لكم أن تغييرَ المضغةِ إلي المخلَّقةِ هو باختيار الفاعل المختار، ولولاه لَمَا صار بعضُه مخلفا وبعضُه غيرُ مخلَّق.

وثانيهما: أن يكون التقدير إن كنتم في ريب من البعث فإنا أخبرناكم كما خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يُبْعِدُ عنكم ذلك الرَّيْبَ في أمر بَعثكم ؛ فإن القادر على هذه الأشياء كيف يَعْجزُ عن الإعادة.

وقوله تعالى: ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ فالمراد مَنْ يُبقيه الله تعالى إلى الولادة، والأجل المسمى: هو الوقت المضروب للولادة، وقوله: ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ والأشدُ كمالُ القوةِ والعقلِ

والتمييز ، فنبه بذلك على الأحوال التي بين خروج الطفل من بطن أمه وبين بلوغ الأشد، ويكون بين الحالتين وسائط، وقوله: ﴿ وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ (١) لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾، فمعناه أن منكم من يتوفى على قوته وكماله، ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر؛ فيصير كما كان في أول طفوليته ضعيف البنية، قليل الفهم، فهذا تمامُ الاستدلال بحال خِلقة الحيوان على صحة البعث.

الوجه الثاني: الاستدلال بحال خِلقةِ النبات على صحة البعث وهو قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ وهمودُها يبسُها وخُلُوُّها عن النبات والخضرة ﴿ فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ والاهتزاز الحركة أي تحركت بالنبات وانتفخت، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ أي من كل نوع من أنواع النبات من زرع وغرس، والبهجةُ حُسْنُ الشيء ونضارتُه (٢)، والبهيج بمعنى المبهج.

ثم إنه سبحانه وتعالى لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب والنتيجة وذكر أموراً.

[**أحدها**] قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ والحق هو الموجود الثابت، فكأنه سبحانه بين أن هذه الوجوه دالةٌ على وجود الصانع وحاصلها راجع إلى أن حدوث هذه الأعراض المتنافية وأن تواردَها على الأجسام يدل على وجود الصانع.

---

(١) الذي يَخْرَفُ من الكبر حتى لا يعقل، والأرذل من كل شيء: الرديء منه. لسان العرب مادة: رذل.

(٢) انظر مفاتيح الغيب للفخر الرازي ج ٢٣ صفحة ٧ – ١٠ بتصرف طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت، روح المعاني للألوسي ج ١٧ صفحة ١١٦ – ١١٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[**وثانيها**] قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ﴾ فهذا تنبيه على أنه لما لم يستبعد من الإله إيجاد هذه الأشياء فكيف يُستبعد منه إعادة الأموات.

[**وثالثها**] قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ يعني أن الذي يصح منه إيجاد هذه الأشياء لابد أن يكون واجب الاتصاف لذاته بالقدرة ومن كان كذلك كان قادراً على جميع الممكنات، فمن كان كذلك فإنه لابد أن يكون قادراً على الإعادة.

[**ورابعها**] قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ومعناه أنه لما أقام الدلائل على أن الإعادة في نفسها ممكنةٌ وأنه سبحانه وتعالى قادر على كل الممكنات ووجب القطع بكونه قادراً على الإعادة في نفسها ؛ وإذا ثبت الإمكان والصادق أخبر عن وقوعه فلابد عن القطع بوقوعه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من وسائل الإقناع في علم الجدل في القرآن

١- الاستدلال على المعاد الجسماني:

إن الله عز وجل استدل على المعاد الجسماني بأمور:

أحدها: قياس الإعادة على الابتداء فقال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (١)، وقال: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (٣)، وكقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٤) وقوله: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ (٥).

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى فقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ (٦)، ثم قال: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٧).

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات، وهو في كل موضع ذُكر فيه إنزالُ المطر غالباً قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء من الآية ١٠٤.

(٣) سورة ق من الآية ١٥.

(٤) سورة القيامة الآية ٣٦.

(٥) سورة الطارق آية رقم ٥.

(٦) سورة يس من الآية ٨١.

(٧) سورة غافر آية ٥٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)، وكقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)، وكقوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾(٣).

رابعها: قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٤) فقد ورد أن أبيّ بن خلف جاء بعظم بالية ففتتها ونفخها في الهواء وقال يا محمد من يحيي العظام وهي رميم فأنزل الله تعالى(٥): ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ ؛ فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى إلى الأولى وزاد في الحجة بقوله: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ (٦)، والمشهور بين العلماء أن المراد بهذا الشجر [المرجُ والعفار] يُتَّخذُ من المرج الزند الأعلى وهو ذكر، ومن العفار الزندة السفلي وهي أنثى، ويُسحق الأول على الثاني، وهما خَضراوان يقطُر منهما الماء فتقدح النار بإذن الله تعالى، وهذا في غاية

---

(١) سورة الأعراف ٥٧.

(٢) سورة فصلت ٣٩.

(٣) سورة الروم ١٩.

(٤) سورة يس ٧٨.

(٥) ذكره في أسباب النزول بسنده عن أبي مالك أن أبي بن خلف الجمحي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته بين يديه وقال: يا محمد يبعث الله هذا بعد ما أرم ؟ قال: نعم. يبعث الله هذا ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك النار ؛ فنزلت هذه الآية. انظر: أسباب النزول للواحدي صفحة ٢٧٤، تفسير ابن جرير الطبري [جامع البيان] ج ٢٣ صفحة ٢١ طبعة الريان.

(٦) سورة يس ٨٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

البيان في رد الشيء إلى نظيره، والجمع بينهما من حيث تبديل الأعـــراض عليهما [١] [٢].

خامسها: أن الناس دائماً مختلفون، واختلافهم في الحق لا يغير من شيئاً، ولا يمكن أن يغلبه باطل ؛ فالحق ثابت في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة إليه، ولابد من الكشف عنه في حياة كثر فيها الخـــلاف، إجـــلاءً للحق، وإيقافاً للناس عليه قال تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ o لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ [٣] [٤].

٢- **القول بالموجب:**

ومعناه تعليق شيء على شيء ثم نقل المعلَّق عليه إلى حقيقتـــه، أو هو رد كلام الخَصم من فحوى كلامه، وهو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفةٌ في كلام الغير كناية عن شيء أُثبِـــتَ لـــه حكم، فأُثبِتَ ذلك الحكم لغير ذلك الشيء [٥] كقوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ [٦] فكلمة الأعز وقعت في كلام المنافقين

---

(١) يقول صاحب لسان العرب في مادة [عرض]: العرض ما يوجد في حامله ويزول عنه من غير فساد ومنه ما لا يزول، فالزائل منه أدمة الشـــحوب وصُـــفرة اللـــون وحركة المتحرك ؛ وغير الزائل كسواد القار والغراب.

(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ج ٣ صفحة ٣٣٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٦ ص ٥٨١ طبعة الشعب، التحرير والتنوير للطاهر بـــن عاشـــور ج ٢٣ ص ٧٧ طبعـــة دار سحنون.

(٣) سورة النحل ٣٨.

(٤) أنظر الرهان في علوم القرآن للزركشي ج ٢ صفحة ٢٦ بتصرف.

(٥) الإتقان ج ٤ صفحة ٥٦.

(٦) سورة المنافقون ٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عبارة عن فريقهم، وكلمة الأذل وقعت كناية عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين عن المدينة.

فالتفت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قول ما قالتموه صحيح ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخرَج، والله ورسوله الأعز المخرِج ؛ ولذا عقب على ذلك بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بتذكر ما يتعلق به [1] كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ [2] فحكى الله عز وجل عن بعض المنافقين أنهم يؤذون النبي بقولهم [هُوَ أُذُنٌ] وغرضهم من هذا الكلام أنه عليه الصلاة والسلام ليس له ذكاء ولا بعد فكر بل هو سليمُ القلب سريعُ الاغترار بكل ما يسمع ؛ فلهذا سموه بأنه أُذن، ثم إنه تعالى أجاب عن رسوله بقوله: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ ﴾ وتقديره: هب أنه عليه السلام أُذن لكنه خيرٌ لكم، ثم بين الخيرية فيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴾ فجعل الحق عز وجل هذه الثلاثة كالموجِبَةِ لكونه عليه الصلاة السلام [أُذُنُ خَيْرٍ] وبيان تلك الخيرية من وجوه:

أولها: [يُؤْمِنُ بِاللَّهِ] فلأن كل من آمن بالله صار خائفاً من الله، والخائف من الله لا يؤذي أحداً.

ثانيها: [وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ] فالمعنى أنه عليه الصلاة والسلام يسلم للمؤمنين قولهم: أي أنهم إذا توافقوا على قول واحدٍ، سلّم لهم ذلك القول،

---

(١) الإتقان ج ٤ صفحة ٥٦.

(٢) سورة التوبة من الآية ٦١.

وهذا ينافي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم سريعُ الاغترار بكل
يسمع.

ثالثها: قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ﴾ فهذا أيضاً يوجب
الخيرية له صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يُجري أمرَكُم على الظاهر ولا يبحث
في التفتيش عن بواطنِكُم، ولا يسعى في هتك أسراركم ؛ فثبت أن كل واحد
من هذه الأوصاف الثلاثة بوجوب كونَه [أُذُنُ خَيْرٍ]؛ لأنه سبب للخير
والرحمة فمن آذاه استوجب العذاب الأليم، لأنه إذا كان يسعى في إيصال
الخير والرحمة إليهم مع كونهم في غاية الخبث والخزي يقابلون إحسانه
بالإساءة والخيرَ بالشر؛ ولذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ
اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١).

٣- السَّبْر والتقسيم:

السَّبْرُ التَّجرِبَةُ: وهو مصدر، يقال: سَبَرَ الجُرْحَ يَسْبُرُ ويَسْبِرُه سَبْرًا
أي نظر مقدارَهُ وقاسه ليرفَ غورَه، وفي حديث الغار: قال أبو بكر للنبي
صلى الله عليه وسلم: لا تدخُلْه حتى أسبُرَه قبلك، أي أختَبِرَهُ وأعتَبِرَهُ وأنظر
هل فيه أحدٌ أو شيءٌ يُؤْذِي.

المِسْبَارُ والسِّبَارُ: ما سُبِرَ به وقُدِّر به غَوْرُ الجِراحات ؛ بهذا نتبين
أن السبْر هو الاختيارُ والبحث (٢).

وأما التقسيم فهو في اللغة: الجمع والحصر.

فالسبر والتقسيم هو جمع الأوصاف التي يظنها المجتهد علة في
الأصل ثم يقوم بإبطال ما لا يصلح منها للعلة بدليل يدل على ع

---

(١) أنظر مفاتيح الغيب ج ١٦ صفحة ١١٦ بتصرف يسير.

(٢) لسان العرب مادة [سبر].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصلاحية.

أو هو الاستقراء التام لكل الجوانب، والفرض بكل الاحتمالات ثم الكر عليها بالإبطال، فَيَثْبُتُ بذلك نقيض المدعي، مثال ذلك: قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١)، ثم قال: ﴿ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

هذه جناية من جنايات المشركين حيث قسموا أنعامهم أقساماً: القسم **الأول:** قولهم ﴿ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ ﴾، والمعنى أنهم عينوا شيئاً من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم لا يطعمها إلا خدم الأوثان والرجال دون النساء.

القسم الثاني: أنعام حرموا ظهورها وهي البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

فالبحيرة: هي النقاقة المشقوقَةُ الأُذُن، يقال بحرتُ أُذُنَ الناقة أي شققتها شقاً واسعاً، والناقة بحيرة ومبحورة، وكأن البحرَ علامة التخلية وهي التي خُلِّيت بلا راع (٣).

والسائبة: هي الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر، لم

---

(١) سورة الأنعام ١٣٨، ١٣٩.

(٢) سورة الأنعام ١٤٣، ١٤٤.

(٣) لسان العرب مادة [بحر]، المفردات للراغب كتاب الباء صفحة ٣٧ بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يركب ظهرُها ولم يُجَزُّ وبَرُها ولم يَشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أُنثى شُقَّ أُذنُها وخُلِّي سبيلها مع أمها فلم يُركب ظهرُها ولم يُجز وبَرُها ولم يَشرب لبنَها إلا ضيف كما فُعل بأمها فهي البحيرة ابنة السائبة (١).

وأما الوصيلة: فمن الغنم إذا ولدت أنثى بعد أنثى، وقيل: إذا ولدت الشاة سبعة أبطن نظروا فإن كان السابع ذكراً ذبح وأكل منه الرجال والنساء، وإن كان أنثى تركت في الغنم، وإن كان ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم تذبح وحرموا لحمها على النساء وحرموا لبنها عليهن إلا أن يموت منهما شيء فيأكله الرجال والنساء (٢).

والحامي: الفحل إذا ركب ولد ولده، وقيل: إذا نتج من صلبه عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره فلا يركب ولا يُمنع من كلأ ولا ماء (٣).

القسم الثالث: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وإنما يذكروا عليها أسماء الأصنام، وقيل: لا يحجون عليها ولا يُلبون على ظهورها، ثم ذكر الله عز وجل نوعاً آخر من قضاياهم الفاسدة بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (٤) ؛ يعني أنهم كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور دون الإناث، وما ولد ميتاً اشترك فيه الذكور والإناث.

فلما حرم الكفار ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، رد الله ذلك عليهم

---

(١) لسان العرب مادة [سيب].

(٢) المصدر السابق مادة [وصل]، المفردات كتاب الواو صفحة ٥٢٥.

(٣) لسان العرب مادة [حمم]، المفردات كتاب الحاء صفحة ١٣٢ - ١٣٣ بتصرف، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٤ صفحة ٢٣٣٢، ٢٣٣٣ طبعة الشعب.

(٤) سورة الأنعام ١٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطريق السبر والتقسيم ؛ فقال: إن الخلق لله خلق من كل زوجٍ مما ذُكر ذكراً وأنثى، فمم جاء تحريم ما ذكرتم أي ما علته ؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يُعرف له علة، وهو الأمر التعبدي بأن أُخذَ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى يكون إما بوحي وبإرسال رسول، أو بسماع كلامه تعالى، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)، فهذه وجوه التحريم، لا تخرج عن واحدٍ منها، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراماً، والثاني: يلزم عليه أن يكون جميعُ الإناث حراماً، والثالث: يلزم عليه تحريم الصنفين معاً؛ فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالةٍ وبعضٍ في حالة ؛ لأن العلة على ما ذُكر تقتضي إطلاق التحريم والأخذ عن الله بلا واسطةٍ باطل ولم يدَّعوه، وبواسطةِ رسولٍ كذلك ؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعَى وهو ما قالوه افتراء على الله وضلالاً.

والنتيجة أنهم كذبوا، وهذا ما أفصح الله عنه بقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنعام ١٤٤.

(٢) سورة الأنعام ١٤٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من طرق الإقناع في علم الجدل في القرآن الكريم

١- التسليم بفرض المحال:

التسليم بفرض المحال معناه أن يُسلَّم به جدلاً وليس اعترافاً ولكن يُسلَّم به أولاً لإفحام الخصم ووضع يده على الحقيقة وهو إما يكون منفياً او مشروطاً بحرف الامتناع لكون المذكور مستحيل الوقوع لامتناع وقوع الشرط؛ ثم يُسلم بوقوع ذلك تسليماً جدلياً، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١).

فقوله سبحانه: [مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ] رد على الكفار الذين كانوا يقولون للملائكة بنات الله، وقوله: [وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ] رد على من اتخذ الأصنام آلهة، ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر الدليل على ذلك بقوله: [إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] والمعنى: ليس مع الله من إله، ولو سُلِّم أن معه سبحانه إلهاً لزم من ذلك التسليم أن يذهب كل إله من الاثنين بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا يَنْفُذُ حُكم ولا تنتظم أحواله.

والواقع خلاف ذلك ففرض إلهين فصاعداً مُحال لما يلزم منه المحال؛ فقوله تعالى [إِذًا] يساوي لو سلم بالمدعى لتضاربت الآلهة واختل نظام الكون، وهذا بدهي البطلان، وقوله تعالى: [لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ] فمعناه: لو كان كما تدَّعون لانفرد كل من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبدله ولرأيت مُلك كلّ واحد منهم متميزاً على مُلك الآخر

---

(١) سورة المؤمنون ٩١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتَغَلُّبَ بعضهم على بعض كما ترى حال ملوك الدنيا ممالكهم متميزة وهم متغالبون، وحيث لم تروا أثر التمايز في الممالك والتغالب فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء، ثم إنه سبحانه وتعالى نزه نفسه عن قولهم فقال: [سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ] من إثبات الولد والشريك.

٢- الانتقال من دليل إلى دليل آخر حيث لم يفهم الخصم وجه الدلالة من الأول:

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)؛ فهذا المحاج هو ملك بابل واسمه نُمروذ بن كنعان وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال على إنكار الخالق جل وعلا عناداً ومكابرة فحاج إبراهيم الخليل في ذلك عليه السلام بقوله: ربي الذي يحيي ويميت، قال: أنا أحيي وأميت، ثم أتى بالرجلين قد تحتم قتلُهما؛ فأمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر؛ فقال لإبراهيم أنا أحيي وأميت، فاعتقد أنه أحيا وأمات الآخر، وهذا ليس بمعارضة للخليل عليه السلام، بل هو كلام خارج عن مقام المناظرة وذلك لأن الخليل استدل على وجود الخالق جل وعلا بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعل ذلك الذي لابد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفُسِها بل لابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهَدة من خلقِها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلْقِ هذه

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحيوانات التي توجد ونشاهدها ثم تموت].

ولهذا قال إبراهيم [رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ] فقول هذا الجاهل أنا أحيي وأميت إن أراد أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند وإن أراد ما ذكره من قتل أحدِ الرجلين وتركِ الآخرِ، فلم يكن قد قال شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يفهم وجهَ الدَّلالةِ من كلام الخليل انتقل معه إلى استدلال آخر لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه قال: [قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ]؛ أي هذه الشمسُ المسخرَّة كلَّ يوم تطلُع من المشرق كما سخرها خالقُها ومسيرها وقاهرها وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كلِّ شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء، ولا يمانع ولا يغالب، بل قد قهر كل شيء ودان له كلُ شيء، فإن كنت كما زعمت فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم أنك لا تقدر على شيء من هذا بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضةً أو تتصرفَ فيها فبين الخليلُ إبراهيم عليه السلام ضلالَه وجهلَه وكذَّبه فيما ادعاه وأبطل ما سلكه وتبجح به، فلم يبق له كلامٌ يُجيبُ به الخليل عليه السلام؛ بل انقطع وسكت ولهذا قال: [فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ].

ومن ذلك أيضاً: المناظرة والمجادلة التي وقعت بين موسى عليه السلام وفرعون، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ۝ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [١] يخبرنا الله عز وجل عما كان بين موسى عليه السلام وفرعون من المُحاجَّة أو المناظرة والمجادلة، وما أقامه الكليم على فرعونَ اللئيم من الحجةِ العقلية ثم الحسية.

وذلك أن فرعون أظهر جحدَ الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله قال تعالى: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ٥ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [٢] وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [٣] وهو في هذه المقالة مُعاندٌ يعلم أنه عبد مربوب وأن الله هو الخالقُ البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٤] ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثَمَّ ربٌّ أرسله [وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ] لأن موسى وهارون قالا له [إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ] فكان يقول لهما ومن ربُ العالمين الذي تزعُمان أنه أرسلكما وابتعثكما فأجاب موسى قائلاً [رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا] أي أنه خالقٌ لجميع ذلك ومتصرفٌ فيه لا شريك له وهو الله الذي خلق الأشياء كلَّها، العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحارٍ وأنهارٍ وقفارٍ وجبالٍ وأشجارٍ وحيواناتٍ ونباتٍ وثمارٍ وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر بين السماء والأرض والرياح وما يحتوي عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كلُّ موقنٍ أنها لم تحدث بأنفُسِها، بل لابد لها من موجدٍ ومحدثٍ وخالقٍ وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين.

---

(١) سورة الشعراء الآيات ٢٣ – ٢٨.

(٢) سورة النازعات الآيات ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة القصص من الآية ٣٨.

(٤) سورة النمل الآية ١٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجميع مذللّون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون [إِنْ كُنتُم مُّوقِنِينَ] أي إن كانت لكم قلوبٌ موقنةٌ وأبصارٌ نافذةٌ قال: أي فرعون لمن حوله من أمرائه وكُبرائه ورؤساءِ دولته على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه السلام فيما قاله: [أَلَا تَسْتَمِعُونَ] أي ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري، فقال لهم موسى: [رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ] أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة، فإن كلَّ واحد يعلم أنه لم يخلق نفسَه ولا غيرَه، وكل واحد يعلم أنه لم يحدُث من غير مُحدِث وإنما أوجده وخلقه رب العالمين.

ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا رجع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعتاده وكفرانه وقال: [إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ] أي ليس له عقل في دعواه أن هناك رباً غيري قال موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبهة فأجابه موسى عليه السلام بقوله: [رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ] أي هو الذي جعل المشرقَ مشرقاً تطلعُ منه الكواكبُ، والمغربُ مغرباً تغرب فيه الكواكب الثابتة والسيارة مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها، وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلامِ والضياء وربُ الأرضِ والسماء ربُ الأولين والآخرين خالقُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السائرة والثوابت الحائزة خالقُ الليلِ بظلامه والنهار بضيائه والكلُ تحت قهرهِ وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء، فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربُكم وإلهكم صادقاً فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغرباً والمغرب مشرقاً وليجعل الثابت سائراً والسائر ثابتاً كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الآية السابقة.

ولما قامت الحجج على فرعون وذهبت شُبَهُهُ وغُلِب وانقطعت حجته، ولم يبق له قول سوى العناد عَدَل إلى استعمال قوته وجاهه وسلطانه وسطوته واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه السلام فقال [قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ] (١) إلى آخر ما قصَّ الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء الله يطول ذكرها، ومقاماتُ نبينا صلى الله عليه وسلم مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر فمن أرادها فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته إلا أن أمته صلى الله عليه وسلم لم يكن فيهم من يجحد الخالق جل وعلا بل هم مُقرون به وبربوبيته إلا أن بعضهم لم يقدُروه حق قدره بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، وقال تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤)، إلى غير ذلك من الآيات التي وردت في هذا المقام.

٣- مجاراة الخصم:

وله صور متعددة **الأولى**: تقرير المخاطب بطريق الاستفهام عن الأمور التي يسلم بها الخصم وتسلم بها العقول حتى يعترف بما ينكره كالاستدلال بالخلق على وجود الخالق في مثل قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٥.

(٣) سورة العنكبوت الآية ٦١.

(٤) سورة الزخرف الآية ٨٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

شيء أم هم الخالقون ٥ أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون ٥ أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون ٥ أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين ٥ أم له البنات ولكم البنون ٥ أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ٥ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ٥ أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون ٥ أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون ﴾ (١).

الثانية: التسليم للخصم ببعض المقدمات ثم إلزامه بالمدعى كقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٥ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ٥ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٢)؛ فقول الرسل لهم [إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] فيه اعتراف بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم في الظاهر قد سلموا بانتفاء الرسالة عنهم، وليس مراداً، بل هو من مجاراة الخصم فكأن الرسل قالوا لقومهم ما ادعيتم من كوننا بشراً حق لا تنكر؛ لكن التماثل في البشرية والإنسانية لا يمنع من اختصاص بعض البشر بالنبوة، لأن النبوة اصطفاء يمن الله عز وجل به على من يشاء من عباده بالفضائل والكمالات والاستعدادات التي يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة فإذا كان الأمر كذلك فقد سقطت هذه الشبهة.

الثالثة: إبطال دعوى الخصم وإثبات التقيض كقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ

---

(١) سورة الطور الآيات ٣٥ - ٤٣.

(٢) سورة إبراهيم الآيات ١٠ - ١٢.

كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ (١).

أخرج ابن جرير الطبري عن ابن عباس ومجاهد أن الآية الكريمة نزلت في قريش والمشركين واختاره الطبري (٢)، لأنهم كانوا يستبعدون إرسال رسول من البشر كما قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ﴾ (٣)، وقال: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا o قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴾ (٤)، وقال ههنا: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ قال تعالى رداً عليهم: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ وقيل: نزلت في حق اليهود، وهو القول المشهور وتكون الآية مدنيّة، قال ابن عباس: إن مالك بن الصيف كان من أحبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلاً سميناً فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين، وأنت الحبر السمين وقد سئمت من الأشياء التي تطعمك اليهود، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء أي ما أنزل الله عليك شيئاً البتة ولست رسولاً من قبل الله تعالى فنزل قوله: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ (٥).

والمقصود أنهم لما سلموا أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩١.

(٢) جامع البيان للطبري ج ٧ صفحة ١٧٨ طبعة دار الحديث، وتكون الآية مكية.

(٣) سورة يونس من الآية ٢.

(٤) سورة الإسراء الآيات ٩٤، ٩٥.

(٥) سورة الأنعام الآية ٩١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه السلام فعند هذا لا يمكنهم الإصرار على أنه تعالى ما أنزل عليَّ شيئاً لأني بشر وموسى بشر أيضاً، فلما سلموا أن الله تعالى أنزل الوحي والتنزيل على بشر استحال عليهم أن يقطعوا ويجزموا بأن الله ما أنزل عليَّ شيئاً.

فكان المقصود من هذه الآية بيان أن الذي ادعاه محمد صلى الله عليه وسلم ليس من قبيل المستحيلات، وأنه ليس للخصم أن يصر على إنكاره، بل أقصى ما في الجدال والحوار أن يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأتي بالمعجزة التي تدل على صدقه، فإن أتى بها فهو المقصود وإلا فلا.

أما أن يصر الخصم ومن حذا حذوه على أنه تعالى ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً البتة مع أنهم معترفون بأن الله أنزل الكتاب على موسى عليه السلام فذاك محض الجهالة.

الرابعة: إفحام الخصم وإلزامه ببيان أن مدعاه لا يعترف به أحد كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ٥ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (١).

فنفى الحق سبحانه وتعالى التولّد عنه لامتناع التولّد من شيء واحد وأن التولّد إنما يكون من اثنين وهو سبحانه لا صاحبةَ له، وأيضاً فإنه تعالى خلق كلَّ شيء وخلقُهُ لكل شيء يناقض أن يتولّد عنه شيء وهو بكل شيء عليم، وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته فإن الشعور فارق بين الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالأمور الطبيعية التي يتولّد عنها الأشياء بلا سقوط، كالحار والبارد؛ فلا

---

(١) سورة الأنعام الآيتين ١٠٠، ١٠١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يجوز إضافة الولد إليه سبحانه وتعالى.

٤- الاستدلال باستخدام دليل التمانع:

وخلاصته امتناع الإمكان والوقوع عند التسليم بفرض من الفروض كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١).

قال أهل النحو: [إِلَّا] في الآية الكريمة بمعنى غير، أي لو كان يتولى أمر السماء والأرض ويدبر أمورهما غيرُ الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا، ولا يجوز أن تكون [إِلَّا] بمعنى الاستثناء لأنا لو حملناه على الاستثناء لكان المعنى: لو كان فيها آلهة ليس معهم الله لفسدتا، وهذا يوجب بطريق المفهوم أنه لو كان فيهما آلهة معهم الله أن لا يحصل الفساد، وذلك باطل؛ لأنه لو كان فيهما آلهة فسواء لم يكن الله معهم أو كان فالفساد لازم، إذن يبطل حمل [إِلَّا] على الاستثناء ويثبت حملها بمعنى غير فاستدل الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية على أن صانع العالم واحد لا شريك له.

قلت لماذا تفسد السماء والأرض لو كان فيهما آلهة غير الله ؟ لأننا نكون في هذه المسألة أمام أمرين إما أن تكون هذه الآلهة مستوية في صفات الكمال أو واحد له صفات الكمال والآخر له صفات نقص، فإن كان لهم صفات الكمال اتفقوا على خلق الأشياء أم اختلفوا ؟ وإن كانوا متفقين على خلق شيء فهذا تكرار لا مبرر له، فواحد سيخلق والآخر لا عمل له، ولا يجتمع مؤثران على أثر واحد، فإن اختلفوا على الخلق، يقول أحدهم هذه لي ويقول الآخر هذه لي فقد علا بعضهم على بعض.

أما إن كان لأحدهم صفة الكمال والآخر صفةُ النقصِ فصاحب

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢.

النقص لا يصح أن يكون إلهاً، وهكذا الحق سبحانه وتعالى يُصرِّف الأمثال ويوضحها ليجلِّيَ هذه الحقيقة بالعقل والنقل [لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ] فلا آلهة معه سبحانه وتعالى أمر باطل.

ثم نزه سبحانه وتعالى نفسه عما قال هؤلاء بقوله [فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ] أي هو منزه لأجل هذه الأدلة عن وصفهم بأن معه إلهاً وهذا تنبيه على أن الاشتغال بالتسبيح إنما ينفع بعد إقامة الدليل على كونه تعالى منزهاً عما قاله المشركون.

٥ - **المناقضة**: وهي تعليق أمر على أمر مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه.

وقد كثرت المناقضة في كلام الناس كأن يقول أحدهم لا أفعل كذا حتى يَشيبَ الغراب، أو لا أفعل كذا حتى يَبيضَّ القارُ، ومرادهم: لا أفعل كذا أبداً، وقد استدل العلماء لهذه الوسيلة بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١).

الولـوج: الدخول بشدة، ولذلك يقال هو الدخول في ضيق، فهو أخص من مطلق الدخول، **والجمل**: معروف وهو الذكر من الإبل، **وسم الخياط**: ثقب الإبرة، وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات لأنه أكبرها، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالاً، فثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار أن دخول الكفار الجنة ميئوس منه قطعاً؛ وكذلك تفتيح أبواب السماء لهم.

قال صاحب الكشاف: قرأ ابن عباس [الْجُمَّل] بوزن القُمَّل، وسعيد

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ٤٠.

ابن جبير [الْجُمَل] بوزن النُفَر وقرئ [الْجُمْل] بوزن القُفْل، و [الْجُمُـل] بوزن النُصُب، و [الْجَمْل] بوزن الحَبْل، ومعناها الحَبْل الغليظ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل: يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه، إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك، يقال أضيق من خرت الإبرة، والجَمَلُ مثل في عظم الجرم.

يقال: جسم الجمال وأحلام العصافير، فقيل لا يدخلون الجنة حتـى يكون ما لا يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة أ.هـ [١].

٦- الإسجال:

ومعناه: الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب بـه، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [٢]، و ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِـنْ آبَـائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٣]، بقول صاحب الإتقان: [فـإن في ذلك إسجالاً بالإيتاء والإدخال حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده] أ.هـ [٤].

فإذا كانوا عالمين بأن الله وعدهم بذلك وبأنه لا يخلف الميعاد، فمـا فائدة ذلك في دعائهم ؟

أجيب: بأنهم سألوا ذلك ليكون حصوله أمارة على حصـول قبـول

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٧٨.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٤.

(٣) سورة غافر آية ٨.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٤ صفحة ٥٦ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأعمال التي وعد الله عليها بما سألوه فقد يظنون أنفسهم أنهم أتوا بما يبلغهم تلك المرتبة، ويخشون أنهم قد خلطوا أعمالهم الصالحة بما يبطلها، ولعل هذا هو السبب في مجيء الواو في قولهم: [وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا] دون الفاء إذ جعلوه دعوة مستقلة لتحقق سببها ولم يجعلوها نتيجة فعل مقطوع بحصوله، ويدل لصحة هذا التأويل قوله بعد: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ (١)، مع أنهم لم يطلبوا هنا عدم إضاعة أعمالهم (٢).

وقيل: أرادوا التوفيق إلى أسباب ما وعدهم الله على رسله؛ فالكلام مستعمل كناية عن سبب ذلك من التوفيق للأعمال الموعودة عليها (٣).

وقيل: هذا من باب الأدب مع الله تعالى حتى لا يظهروا بمظهر المستحق لتحصيل الموعود به تذللاً أي كسؤال الرسل عليهم السلام المغفرة، وقد علموا أن الله قد غفر لهم (٤).

ولما كان الجدل خطاب العقل فقد نوه القرآن الكريم به في كثير من آياته فقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (٥)، وخاطب العقل المدرك والحكيم كخطاب أولى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥.

(٢) التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور ج٤ صفحة ٢٠١ بتصرف.

(٣) تفسير الكشاف ج١ صفحة ٤٨٩ طبعة دار المعرفة، بيروت، والزمخشري يحاول التوفيق بين الآية وبين مذهبه الاعتزالي.

(٤) التحرير والتنوير ٢٠٢/٤ بتصرف.

(٥) سورة البقرة آية ١٦٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الألباب؛ فقال تعالى: ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(١)

فالعقل الذي يخاطبه الإسلام هو الذي يعصمُ الضميرُ ويدرك الحقائق ويميزُ بين الأمور ويوازن بين الأضداد، بيد أن بعض الناس يطمسون عقولهم ويقدسون أسلافهم من غير نظر فيما كانوا يفعلون، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٢)، فهؤلاء لم يُعملوا عقولهم التي هي أنفس مواهب الرحمن عند الإنسان بها يعرف النافع من الضار والحسن من القبيح، والخطأ من الصواب، والغي من الرشاد.

وإنها لكلمة حق أقولها: ما عرفنا في الأولين والآخرين كتاباً أعلى قدر العقل الذي هو مناط التكليف والذي يميز الإنسان عن الحيوان إلا هذا القرآن الكريم الذي يقول الحق سبحانه وتعالى فيه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (٣).

وما عرفنا كتاباً لا يرفض الآخر ولا يملي عليه رأيه، أو يصادر فكره؛ إلا القرآن فهو يحاور الخصم ويسوق له الأدلة والبراهين الدالة على صدق ما يقول بطريقة حسنة لإظهار الحق ولهداية المعاندين.

سورة ص ٢٩.

سورة البقرة آية ١٧٠.

سورة الإسراء الآية ٧٠.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

يمكن تلخيص أهم ما توصلت إليه في هذا البحث على النحو التالي:

١- المحاورة قد تكون عن خصومة وقد لا تكون، وقد تكون في مقابل أدلة بأخرى وقد لا تكون؛ أما الجدل فإنه غالباً تصحبه الخصومة بين المتجادلين.

٢- الجدل نوعان: [جدل محمود] مبعثه الرحمة والشفقة على أهل الخير، وغايته إحقاق الحق وإدحاض الباطل، [وجدل مذموم] وهو جدال الكفار في الله تعالى بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير، وهو من إتباع الشيطان الذي أسس بنيانه ومهد سبيله.

٣- إن القرآن الكريم لم يسلك في الجدل طريقة المتكلمين الاصطلاحية في مقدمات ونتائج لكنه أورد البراهين والأدلة على عادة العرب كما هو مبين في صفحات هذا البحث.

٤- بالجدل المحمود تتلاقى الآراء وبالمحاورة تتفتح العقول وبالتالي يصل المتجادلان إلى الحقيقة إذا صدقت النية.

٥- الجدل من طبيعة الإنسان وملتصق به قال تعالى: ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ (١).

٦- إن الجدل والحوار يهدفان إلى إحقاق الحق ودحض الباطل والقضاء عليه، والتالي تفند العقيدة الباطلة ويُقضى عليها وتؤسس عقيدة قوامها التوحيد المطلق لله رب العالمين قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَ

---

(١) سورة الكهف آية ٥٤.

يَكُونُونَ إِذَا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (١).

- الجدل والحوار يبطلان الظواهر الاجتماعية الفاسدة في صورة مؤثرة يكرد البيان مثلاً والتي هي من أخطر ظواهر الانحلال والانحراف، فالقرآن الكريم أنكر عليهم فعلهم هذا ولامهم في صورة سؤال قال تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٢)

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي

وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٢.

(٢) سورة التكوير آية ٨ – ٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم طبعة المشهد الحسيني.

٣- أسباب النزول للسيوطي.

٤- أسباب النزول للواحدي.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر.

٦- البرهان في علوم القرآن للزركشي.

٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي طبعة القاهرة.

٨- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، طبعة دار سحنون.

٩- تفسير ابن جرير الطبري [جامع البيان]، طبعة الريان، طبعة دار الحديث.

١٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة الشعب.

١١- تفسير الكشاف للزمخشري، طبعة دار المعرفة.

١٢- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبعة دار الشعب.

١٣- روح المعاني للألوسي.

١٤- الكبائر للذهبي، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.

١٥- لسان العرب لابن منظور.

١٦- المفردات للراغب الأصفهاني، طبعة دار المعرفة - بيروت.

١٧- مفاتيح الغيب للفخر الرازي، طبعة دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٨-نقد النشر لأبي الفرج بن قدامة، تحقيق/ عبد الحميد العبادي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner